القوى التحررية والثورية « الفتية » التي يذهبلتذكيرها · يؤكد ذلك سعيه اللاحق لاثبات رأيه ، مطبقا على ( منظمة التحرير الفلسطينية ـ الحركة الوطنية اللبنانية ، منظمة العمل الشيوعي ـ الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين · عدا عن قوى جبهة الصمود والتصدي ، ومنظمات فلسطينية اخرى ··· ) يجعل منها هدفا لاثبات واقعة سقوط هذه الحركة في حبائل المرحلة السوداء الحالية ، وتيار الردة الجارف ·

٣ ـ ينطلق في محاكمته هذه من اتجاهه للربط ما بين مساعي الحل السلمي السابقة على زيارة السادات ، ومواقف هذه القوى منه ومن مشروع « الدولة الفلسطينية » وكيف اصبحت مطلبا « وطنيا » بعد ان كانت « مؤامرة امريكية » · واذ يلاحق السلسلة حلقة حلقة ، باتجاه الانهيار فانه يعيد الى الذاكرة تباين المواقف ، وتراجعها ، لا على صعيد الانظمة وحسب ، بل على صعيد حركة المقاومة وفصائل حركة التحرر الوطني ايضا ·

ذلك هو جوهر ما يريد « صادق العظم» ان يقوله في كتابه هذا · ان حالة التردي عامة وان ليس ثمة امل في شيء · وان الموقف من زيارة السادات اسطع دليل ، بدلالة واقعة موقف كافة القوى من هذه الزيارة · واخيرا فان « الرافضين » لها ليس لهم حق الرفض ، لانهم جزء من العوامل العميقة التي ادت اليها ، وانها « فعل امة منخورة » · لا فعل فرد او نظام ·

وعلى العموم فان مثل هذا الرأي قد يطرح ، وقد يكون له صدى ، كما ان احساسا بواقع الهزيمة وضخامتها قد يكون قائما وبعمق وسعة في اوساط عديدة من الجماهير وبين مناضلين ومثقفين تقدميين ، يلتقون مع العظم في تشخيصه « للحالة » والجهر بها · ولكن الكثيرينمن هؤلاء وحتى في اوساط تلك القوى التي يجعل العظم منها هدفا لنقده وهجومه · قد لا يلتقون معه في النتائج التي يصل اليها والايحاءات والحلول التي يطرحها ·

واذ يذهب العظم الى اسقاط معظم الفكر والممارسة السياسية التحررية العربية ، فانه يضع نفسه بذلك امام واجب هو شرط لاعطائه حق الاسقاط هذا ـ ذلك هو واجب عدم الاسهام في تعميق حالة التدهور والانحطاط · وهذا بالضبط ما تؤديه اية محاولة شبيهة بمحاولاته لا تعطي الحلول · ولا تشخص العلل بدقة · ولا تمتاز تبعا لذلك بالجدية والعمق والشمول اللازم والضروري في حالة كهذه · ان حالة التردي يجري الشعور بها عادة من قبل الجماهير مثل حالة الصعود · والدليل على ذلك الموقف الذي تعبر عنه هذه الجماهير في مرحلتنا · والمهم ليس عكس هذا الاحساس وتعميمه بحالته الفجة ، بل بلورته وتعميقه ، ونقله من مملكة الحس الى مملكة الادراك ، لا العمل على تشويهه وحرف مسار تطوره الطبيعي والحتمي ·

فهل عمل العظم على الارتفاع بهذا الحس ؟ هل سعى الى اغنائه ؟ هل نقله خطوة الى الامام ؟ · علينا لكي نجيب على هذا السؤال ان نلاحق الكاتب محاولين استقصاء ما اضافه، نظريا، لهذا الحس عدا عن دعوته الى ضرورة اصلال النهج العلمي في دراسة خطوة السادات ونظامه ، باعتباره وليدا طبيعيا لما سبقه وابنه الشرعي ـ وهذا ليس انجازا لا يعرفه احد ـ نعم لقد حاول ان يعطي تحليلا لطبيعة « الانظمة العسكرية ذات المنشأ البرجوازي الصغير » (١) · لم يتميز بأية ميزة عن العديد من التحليلات التي رأت منذ سنوات بعيدة ان هذه الانظمة عاجزة عن السير قدما في طريق الثورة ، وانها تحمل في احشائها عناصر

---

(١) ترد هذه المحاولة في ما لا يزيد على صفحة واحدة من الكتاب ( ص ٤٤ ـ ٤٥ ) ·